



الحمد لله نحمه ونستعينه ونستغفره، ونعواز بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران:102]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:1]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلاله في النار.

أيها الناس: لا معرفة أنفع للعبد من معرفة الله تعالى، ومعرفة شرعه. ولا فرح أعظم من الفرح بالله تعالى وبشرعه؛ لأن معرفة الله تعالى تدعو إلى تعظيمه، ومعرفة شرعه تقود إلى اتباعه. ولأن الفرح بالله تعالى يورث القلب طمأنينة، ويملؤه أمناً، والفرح بشرعه يوجد للطاعة لذة عند العبد لا تعدلها لذائذ الدنيا ولو اجتمعت كلها له بلا منفعت ولا مكدر، فكيف ولذائذ الدنيا لا تصفو لأحد أبداً، ولا بد أن تشوبها شوائب تفسدها.

إن الفرح بالله تعالى وبطاعته مقام عظيم لا يخلص إليه إلا الموفدون من عباد الله تعالى، ومن أراد سعادتهم في الدنيا والآخرة؛ فيفرح أحدهم بربوبية الله تعالى، وهو يرى من استکبر عنها. ويفرح بألوهيته، فلا يبعد معه غيره، وهو يرى من اتخذوا معبودات من دون الله تعالى، ويفرح بأسمائه وصفاته وبعلمه بها، وهو يرى من يجهلها ومن يحرفها ومن يلحد فيها.

ويحتفي بتفاصيل الشريعة وأجزائها؛ فرحاً بأنها من عند الله تعالى، وفرحاً بأنه يعرف الطريق إلى مرضاة الله تعالى وبعبادته بشرعه سبحانه لا بشرع غيره.

وكل عظيم من عظماء الدنيا يفرح أتباعه بمجالسته ومحادثته، ويتنافسون في فهم قوله وإشارته، ويتسابقون إلى طاعته وإرضائه. فما ظننا برب العالمين حين بين لنا مراده بكتاب أنزله علينا، ورسول أرسله إلينا، وشرع فصله لنا؛ فلا شك أن كل فرح يقصر دون الفرح بربنا سبحانه وتعالى وبشرعه المفصل لنا {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتُكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا

فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلَيُفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمِعُونَ} [يونس: 57، 58].

فالفضل هو هداية الله تعالى التي في القرآن، والرحمة هي التوفيق إلى اتباع الشريعة التي هي الرحمة في الدنيا والآخرة. فجعل الفرح بالإيمان والقرآن خيرا من الفرح بما يجمع الناس من أعراض الدنيا {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلَيُفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمِعُونَ} [يونس: 58].

وأثناء تنزيل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كان يفرح بكل سورة تتنزل، وكان الصحابة رضي الله عنهم يفرجون بها، ويتعلمونها، ويعملون بما فيها. وهكذا ينبغي للمؤمن أن يفرح بكل سورة يحفظها أو يقرأها، وبكل آية يفهمها، وبكل فريضة يقيمهها، وبكل سنة يفعلها.

ولتأمل فرح النبي صلى الله عليه وسلم بتتنزيل القرآن وما فيه من الآيات والأحكام في قوله عليه الصلاة والسلام في إحدى السور: «لَكَ أَنْزَلْتَ عَلَيَّ الْآلِيَّةَ سُورَةً لَهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» ثمَّ قَرَأَ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا} [الفتح: 1] رواه البخاري. ولو فرحة صلى الله عليه وسلم بهذه السورة لما جعل نزولها عليه أحب إليه من الدنيا كلها.

وكان يفرح بإسلام من يسلم من الناس؛ لأن الفرح بإسلامهم فرح بما يرضي الله تعالى، والفرح بما يرضيه سبحانه فرح به عز وجل، كما كان صلى الله عليه وسلم يفرح بالطاعة يقوم بها أصحابه رضي الله عنهم؛ لأن في الفرح بطاعة الله تعالى فرحا بالله سبحانه كما فرح بإغاثة المضربين لما احتاجوا، وحكي فرحة جرير بن عبد الله رضي الله عنه فقال: "...حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة" وفي رواية: "حتى عرف السرور في وجهه" رواه مسلم.

وفرح صلى الله عليه وسلم بتوبة كعب بن مالك رضي الله عنه فرحا شديدا حكاه كعب فقال: "فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَانَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ" رواه الشيخان.

وما فرحة عليه الصلاة والسلام بتوبة كعب، وقبول الله تعالى لتوبته إلا لأن التوبة أجل الطاعات، وأعظم العبادات، والله تعالى يفرح بها أشد من فرح رجل أضل دابته في الصحراء وعليها طعامه وشرابه حتى استسلم للموت فوجدها أمامه كما في الحديث، والفرح بما يحبه الله تعالى فرح به سبحانه.

ولتأمل - عباد الله - فرح الأنصار رضي الله عنهم بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، مع ما في إيوائه من خطر معاداة الناس جميعا، إلا أن فرجمهم بالنبي صلى الله عليه وسلم جعلهم لا يحسبون حسابا لأحد ولو اجتمع الناس على حربهم.

وما فرح الأنصار بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا من فرجمهم بالله تعالى؛ فقد كان الوحي يأتي إليهم بواسطة المهاجرين، وبعد هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام جاءهم صاحب الوحي فأقام بينهم فصاروا يأخذون منه مباشرة. وقد وصف البراء بن عازب رضي الله عنه فرجمهم فقال: "قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" رواه البخاري.

ولما فتحت مكة خشي الأنصار أن يفارقهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومه، فلما طمأنهم بعودته معهم بكوا فرحا بذلك، قال صلى الله عليه وسلم لهم: "أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْنَشَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعْرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحِمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ" قال: فبكى القوم، حتى أخذنوا لحاظهم، وقالوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا..." رواه أحمد.

ولنتأمل فرح الصحابة رضي الله عنهم بتنزيل القرآن في قوله سبحانه {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَكُمْ زَادَتْ هَذِهِ إِيمَانًا فَامَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبه:124] إنهم يستبشرون بتنزيل الآيات وما فيها من الأحكام، ولا يضجرون منها أو يستثقلونها.

وفي آية أخرى يخبر سبحانه عن فرح من آمن من أهل الكتاب بالقرآن لعلهم بمنزلة كلام الله تعالى بما عرفوه من كتبهم، وعلى السن رسلهم عليهم السلام، كفرح النجاشي لما تلية عليه سورة مريم فبكى خشوعاً مما فيها من الآيات، وفرح عبد الله بن سالم بتنزيل القرآن وكان قبل إسلامه من علماء اليهود وسادتهم، يقول الله تعالى في هؤلاء العلماء {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} [الرعد:36] علموا أنه كلام الله تعالى ففرحوا به، ولم يخامر قلوبهم حسد يمنعها من الفرح بالقرآن وما فيه، كما كان حال غيرهم من رهبان قومهم.

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفرحون بالسورة تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنها من عند الله تعالى، ومن فرجمهم بالله تعالى فرحمهم بما يأتي منه، ويفرحون بها لأنها كلامه سبحانه اختصهم به دون سائر الأمم التي ضلت عنه، ويفرحون بها ليقينهم بعناية الله تعالى لهم، ولو لا عنايته عز وجل ما أنزلها عليهم، ويفرحون بها لأنها تزيدهم إيماناً به سبحانه، وقرباً منه، وعبودية له. فهل يُظن بقوم فرحوا كل هذا الفرح بسورة أنزلها الله تعالى عليهم أن يتقاусوا عن تعلمها وتدبر معانيها والعمل بما فيها؟! وهل هم إلا فرجون بذلك الامتثال والتدبر والعمل؟!

ولنتأمل فرح الصحابة رضي الله عنهم بالهجرة، مع أن الهجرة مفارقة للديار، وانخلاع من الدور والأموال، وكان الأشعريون قد هاجروا من اليمن بحراً يريدون المدينة، فألقتهم السفينـة في الحبـشـة، فوافـوا من هاجر إلى الحبـشـة، فـلما عـادـوا منـها عامـ خـيـبـرـ، تـفـاخـرـ عـلـيـهـمـ مـنـ سـبـقـوـهـ مـنـ سـبـقـوـهـ بـالـهـجـرـةـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ، وـقـالـوـاـ: نـحـنـ أـحـقـ بـالـنـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـكـمـ، فـرـدـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـوـلـهـ، وـأـخـبـرـ أـنـهـمـ أـصـحـابـ هـجـرـتـيـنـ، يـقـولـ أـبـوـ مـوسـىـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ: "مـاـ مـنـ الـدـنـيـاـ شـيـءـ هـمـ بـهـ أـفـرـحـ وـلـأـعـظـمـ فـيـ أـنـفـسـهـمـ مـمـاـ قـالـ لـهـمـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ" رـوـاهـ الشـيـخـانـ. وـإـنـمـاـ فـرـحـواـ بـذـلـكـ لـأـنـهـاـ كـتـبـتـ لـهـمـ هـجـرـتـانـ، وـهـمـ طـاعـتـانـ عـظـيمـتـانـ، يـحـبـهـمـ اللـهـ تـعـالـىـ، فـمـنـ فـرـحـهـمـ بـالـلـهـ تـعـالـىـ فـرـحـواـ بـمـاـ يـحـبـهـ مـنـ الـأـعـمـالـ الصـالـحةـ.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الفرح به وبطاعته، وأن يملأ قلوبنا أنساً به، وقرباً منه، وزلفيًّا إليه، ورضاً به وعنده، وأن يرضينا ويرضى عنا، إنه سميع مجيب.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم...

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آلِه وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطیعوه {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَقَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة:281].

أيها المسلمون: لا أحد يحقق الفرح بالله تعالى إلا ويفرح بشرعه وأحكامه، فلا يعرض عليهما، ولا يضجر منها، ولا يعرض عنها تعلمها وعملاً؛ لأن فرجه بالله تعالى يدعوه إلى الفرح بما يحبه من أحكام وأعمال فيتعلمها ويأتي بها. ومن كره شيئاً مما

أنزل الله تعالى زال من قلبه الفرح بالله تعالى.

وإنما كانت الصلاة راحة للنبي صلى الله عليه وسلم، وجعلت قرة عينه لأنها صلة بالله تعالى، وغاية فرح العبد صلاته بمحبوبه ومعبوده؛ ولذا كان غاية فرح أهل الدنيا أن يخلو أحدهم بعظيم من العظام ينثر له مدحه، ويبث شكايته، ويرجو نفعه وصلته. فكيف إذن بالخلوة بالله تعالى في الصلاة، والقرب منه في السجود، وبث الحاجة إليه بالدعاء. لا مقام لأهل الفرح بالله تعالى أعظم ولا أذن من هذا المقام. ومن شكا ثقلا في الصلاة، وعجزا في القيام لها، وكسلا في أدائها، وفقدانا للخشوع فيها، فليتفقد قلبه فإنه ناقص الفرح بالله تعالى وبطاعته فليزدده في قلبه تصلح له صلاته.

وكل عبادة كالصلاحة في هذا المعنى، تسهل العبادة على العبد، ويفرح بها بقدر فرح قلبه بالله تعالى.

ومن فرح بالله تعالى أكثر من التفكير في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقداره في خلقه. ولذا قال بعض الصالحين: مَنْ أَدَمَ النَّظَرُ بِقَلْبِهِ أَوْرَكَهُ ذَلِكَ الْفَرَحُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

ومن فرح بالله تعالى أدمن ذكره، فلا يفتر لسانه عن اللهج به، ولا يغفل قلبه عن التفكير فيه؛ وذلك أن من فرح بأحد أكثر ذكره.

إن الفرح بالله تعالى هو أعلى نعيم القلوب، وأرفع لذائذ النفوس، ومقامه أعلى المقامات، والعبودية به أجل عبودية، وبه تفتح أبواب اللذة بالعبادة، والخشوع فيها، والمداومة عليها، وما عبد الله تعالى بشيء أعظم ولا أجل من الفرح به والفرح بال العبودية له سبحانه وتعالى.

وأما الفرح بالدنيا وما فيها من جاه ومال ونساء وأولاد ومتاع فهو فرح لا يصفو ولا يدوم؛ فالجاه يزول، والمال يذهب، ويبلغ سنا يعجز فيه عن النساء، وربما شقي بالأولاد. وهو مع كل ذلك يفارق ما فرح به من لذائذ الدنيا.

إن الفرح بالله تعالى لا يزول من العبد أبداً؛ لأنه إذا فرح بالله تعالى في الدنيا فرح بلقاءه عند الموت، وفرح بلقاءه يوم القيمة، وفرح برؤيته في الجنة. والله تعالى يفرح بلقاء من فرح به من عباده؛ كما قال سبحانه في الشهداء {فَرِحِينَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [آل عمران:170] وفي الحديث: «مَنْ أَحَبَ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»

وصلوا وسلموا على نبيكم...»

مجلة البيان

المصادر: